Technological development and their social Relations Faculty of Arts and Humanities –Tishreen University

Dr. Ezzat Shahen*
Asem Ramez Orej**

(Received 2 / 9 / 2019. Accepted 24 / 11 / 2019)

□ ABSTRACT □

Technological development of foreign represent, a cultural breaching for our society, whose effects have crystallized in cultural and economic globalization, which forming a major challenge to the loss of identity and non-affiliation to Culture of origin, because the technology is tool and the way of development, so any progress should depend on it. The risks lies in not understanding the mechanism of dealing with this technology for all segments of society, especially young people. The understanding is to take advantage of its positive aspects and employ them to serve our development, such as manufacturing technology, communications, medical engineering, space, information technology. Within the framework of sustainable development, which creates the conditions for their own permanence and continuity, and make us not dependent on the West with is technology as well as caution from its negative effects which is the misuse of this technology, begin its misuse has a destructive effects on the values of youth and ethics and thinking and social and mental life in general. Also in the industrialization of all types and take it as a gift ready. Without processing the keys of this technology, to crystallize it to serve our society and without the need for the West in creating and continuing its continuity and development according to our needs. As well as the lack of awareness of the danger of the targets of the West from the dissemination and commercialization of this technology in our society which represents in the opening of our country markets for the disposal of manufactured products at the expenses of our national industries. The dissemination of a culture of consumption in our society and the cultural management of emerging generation through the invasion of space channels. And the communication technology that is being handled incorrectly and that will lead. As a result, to the productive work values that lead to making our country a source of raw materials that serve the manufacture of the West and further development at the expense of our development.

In the face of this challenge. Intellectual and social currents have emerged to confront institutions, social organizations, and in all sectors. They should have been studied and take care of it in order to develop appropriate solutions, thus avoiding their effects and employing positive aspects to serve our development issues.

Key words: Globalization- Technology-sustainable development

*** Associate Professor, Faculty of Arts, University of Tishreen, Lattakia, Syria.**
****Postgraduate student, Faculty of Arts, University of Tishreen, Lattakia, Syria.**

التطورات التكنولوجية ومنعكساتها الاجتماعية

د. عزت شاهين*

عاصم عريج**

(تاريخ الإيداع 2 / 9 / 2019. قبل للنشر في 24 / 11 / 2019)

□ ملخّص □

تمثل التطورات التكنولوجية غريبة المنشأ اختراقاً ثقافياً لمجتمعنا تبلورت اثاره في العولمة الثقافية والاقتصادية، مشكلاً تحدياُ كبيراً يهدد بفقدان الهوية واللاإنتماء لثقافة الأصل. لأن التكنولوجيا أداة وطريق التنمية أساساً ولا بد للسير في طريق التقدم من الاخذ بها، تكمن المخاطر بعدم فهم آلية التعاطي الصحيح معها بالنسبة لكل شرائح المجتمع وخاصة الشباب، الفهم الذي يكمن في الاستفادة من جوانبها الإيجابية وتوظيفها لخدمة تنميتنا، كـ تكنولوجيا التصنيع – الاتصالات – الهندسة الطبية – الفضاء – تقنيات المعلوماتية وذلك في إطار التنمية المستدامة التي تخلق شروط دوامها واستمرارها بنفسها، وتجعلنا غير مرتهنين للغرب فيما لديه من تكنولوجيا، وكذلك الحذر من آثارها السلبية، والتي تتمثل في الاستخدام الخاطئ لهذه التكنولوجيا، وما لاستخدامها الخاطئ من آثار مدمرة على قيم الشباب والأخلاق والتفكير والحياة الاجتماعية والعقلية بشكل عام.

كذلك على صعيد التصنيع بأنواعه وأخذه كمعطى جاهز، دون امتلاك مفاتيح هذه التكنولوجيا، لبلورتها بما يخدم مجتمعنا وبأيدينا دون الحاجة الى الغرب في خلقها ودوام استمرارها وتطويرها حسب حاجاتنا. كذلك عدم الوعي لخطر أهداف الغرب من نشر وتسويق هذه التكنولوجيا في مجتمعنا والمتمثلة في فتح بلادنا أسواقاً لتصريف منتجات تصنيعه على حساب صناعاتنا الوطنية، ونشر ثقافة الاستهلاك في مجتمعنا والتدمير الثقافي للأجيال الصاعدة في الغزو المتمثل بالأقنية الفضائية وتكنولوجيا الاتصالات التي يجري التعامل معها بطريقة غير صحيحة، والانصراف نتيجة ذلك عن قيم العمل المنتج الذي يقود الى جعل بلادنا مصدراً للمواد الأولية الخام التي تخدم تصنيع الغرب وزيادة تطوره على حساب تنميتنا وتطورنا. أمام هذا التحدي الذي لا مفر منه ظهرت تيارات فكرية واجتماعية لمواجهته – مؤسسات – منظمات اجتماعية، ولدى كافة الفعاليات. وكان لابد من دراستها والاهتمام بها لوضع الحلول المناسبة، وبالتالي تفادي آثارها السلبية وتوظيف الجوانب الإيجابية فيها لخدمة قضايا التنمية لدينا.

الكلمات المفتاحية: العولمة – التكنولوجيا – التنمية المستدامة

* استاذ مساعد– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق– سورية

**طالب دكتوراه– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق– سورية

مقدمة:

إن الثورة العلمية التكنولوجية هي التي أسست لمعظم التحولات والتغيرات في عالمنا المعاصر على الصعيد الاجتماعي والفكري والاقتصادي والسياسي. وبإسقاطها على حياتنا الاجتماعية، يلامس التطور التكنولوجي في آثاره مفهومي الاغتراب والتغريب فهو منتج غربي بامتياز يحمل قيم الغرب وثقافته وحاجاته التي مع انتشارها في مجتمعنا ظهرت الى السطح مشكلة القيم المتمثلة في الصراع بين ثقافتنا وثقافة الغرب، فظهرت هنا مشكلة الاغتراب عن تلك القيم غريبة المنشأ في ظل تغلغلها بداخلنا وإجبارنا على التعايش معها، وفي الجهة المقابلة مشكلة التغريب التي تشد مجتمعنا بأسره نحو الغرب بما فيه من تكنولوجيا وقيم انتجت هذه التكنولوجيا على حساب أصالتنا وهويتنا وامكاناتنا. وتشير الدراسات الى أن المشكلات التي أفرزها هذا الاختراق الغربي قد خلقت العديد من المشكلات الثقافية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية وغيرها الملموسة على أرض الواقع والتي ألهبت بدورها الحراك الفكري السياسي والاجتماعي والإداري والمؤسساتي لمواجهة هذا الاختراق الغربي المفروض، ومحاولة صياغة آلية للتصدي والتعاطي معه من جانب الوقاية ضد آثاره السلبية الخطيرة، وكذلك الاستفادة من الجوانب الايجابية التنموية لصالح مجتمعنا. سنعرض في هذه الدراسة الى تاريخ التكنولوجيا في الغرب والاشارة الى العوامل التي ساهمت في ظهوره، في ضوء قيم هذه المجتمعات وثقافتها وتوضيح الانتشار والانتقال السريع لهذه التكنولوجيا الى العالم والى مجتمعنا العربي تحديداً، وكذلك تبيان الآثار والمنعكسات السلبية لهذا الاختراق الثقافي الغربي، وأيضاً الإشارة الى الجوانب الإيجابية فيها لتوظيفها في التنمية لدينا، وكذلك الإشارة الى التيارات الفكرية التي تشكلت في مواجهة هذا التحدي، وآلية التعاطي معه بين مؤيد ومعارض، والحلول المقترحة.

مشكلة البحث: وتتمثل بما يلي:

1- التهديد بفقدان الهوية واللاانتماء لثقافة الأصل بسبب هذا الاختراق الثقافي غربي المنشأ، وآلية التعاطي السلبي معه مما يكرس خطر هذا الاختراق. 2- تنبع الأهمية كذلك من انه للسير على خطى التنمية لابد من التكنولوجيا والتصنيع، لكن بشكل يحقق التنمية المستدامة، التي تخلق شروط دوامها واستمرارها بنفسها، ولا تبقينا مرتهنين للغرب، أي بامتلاك مفاتيح التكنولوجيا وتصنيعها محلياً. 3- كذلك تأتي الأهمية من ضرورة الانتباه والحذر لخطورة الأهداف التي يرمي اليها الغرب وراء نشر ثقافة التصنيع في مجتمعنا والمتمثلة في نهب ثرواتنا واستغلال مواردنا الأولية لإنعاش تصنيعه المتطور وجعل بلادنا أسواقاً لتصريف إنتاجه الواسع وما يترتب على ذلك من نشر لثقافة الاستهلاك والانصراف عن قيم العمل المنتج.

أهمية البحث وأهدافه:

1- التعرف على الخصائص التاريخية والمجتمعية للتكنولوجيا الغربية، لتحديد العوامل التي ساهمت في تشكيلها بغرض إلقاء الضوء على تجربة الغرب للاستفادة من حقيقة أن التكنولوجيا والتطور الذي يصنع تنمية فاعلة ينبع أساساً من واقع القيم الاجتماعية الخاصة بكل مجتمع. 2- إظهار أهمية الجوانب الاجتماعية الفاعلة في منظومتنا القيمية، والتأكيد على دورها الرئيس في تشكيل تكنولوجيا تعد بتنمية مستدامة ورفدها بعوامل دعم لتحقيق ذلك. 3-تسليط الضوء على المنعكسات السلبية والايجابية لانتشار تكنولوجيا الغرب في مجتمعنا للنظر في كيفية تفادي السلبي وتكريس واعتماد الإيجابي منها. 4-الإشارة الى ضرورة وضع سياسة تنموية هادفة الى تفعيل التكنولوجيا المعاصرة

في خدمة الاقتصاد الاجتماع والفكر والسياسة وتفعيل مقوماتها العلمية لخلق ثقافة تصنيع من واقع مشكلاتنا وقيمنا تهدف الى بناء تنمية مستدامة.

التساؤلات:

– **التساؤل الرئيسي:** للسير في خطى التنمية لابد من التصنيع والتكنولوجيا، فهل يكون ذلك باستخدام تكنولوجيا الغرب بكل تداعياتها ومفرزاتها القيمية والاجتماعية، دون أن نجهد أنفسنا في اختبارها لعزل الغث من الثمين فيها، أم نجتهد في صناعة تكنولوجيا من واقع قيمنا وحاجاتنا ومشكلاتنا المجتمعية في ضوء الاستفادة من الجوانب الإيجابية في التكنولوجيا الغربية؟

– **التساؤلات الفرعية:**

1– كيف نوظف الجوانب الإيجابية في التكنولوجيا الغربية لخدمة أهدافنا المجتمعية؟. 2–كيف نحمي مجتمعنا من الآثار السلبية الضارة في التكنولوجيا الغربية المخترقة؟ 3– كيف نستفيد من تجربة الغرب في صناعة تكنولوجيا تنموية من واقع مشكلاتنا وفي ضوء قيمنا، ومن خلال المحافظة على هويتنا الثقافية؟

أولاً: الغرب الصناعي – تاريخ وعوامل التكنولوجيا والتصنيع الغربي.

عاشت أوروبا قروناً من الزمن سيطرت فيها الأفكار الهدامة وانتشر فيها السحر والشعوذة والخرافات والاساطير باعتبارها الحل لكل مشكلات الحياة آنذاك. وهي مرحلة القرون الوسطى، أو ما يسمى عصر الظلمات (Dark eages). ثم شهدت مع بدايات وحتى منتصف القرن الثامن عشر حراكاً فكرياً وفلسفياً قاد المجتمع الغربي نحو انتشار المنطق وتحكيم العقل، وساعد في انتشار المعرفة والعلم وبناء قاعدة قيمية جديدة بديلاً عن الأفكار التي انتشرت في العصر السابق. اصطلح على تسمية هذه الحقبة الجديدة (عصر الأنوار) لما شهده هذا العصر من تبديد للظلمات السابقة. وكان لذلك عظيم الأثر في وضع أوروبا على خطى التقدم والتنمية حيث عبر عنه (كانت) بأنه خروج الانسان من مرحلة القصور العقلي وبلوغ سن النضج، فقد ساهمت أفكار عصر التنوير في صياغة التشكيلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك النظريات الاجتماعية التي أسست لبناء الدول والمجتمعات لاحقاً <<لقد شكل عصر التنوير أساساً لحركات التحرر في أميركا اللاتينية ولنشوء الرأسمالية ومن ثم ظهور الاشتراكية...>>[1]. هكذا كان التنوير محرضاً على التقدم الذي تجسد فيما بعد بنتائج التكنولوجيا والتصنيع. فقد جسد الغرب أفكار التنوير وحولها الى واقع تنموي، كما عبر عنه الدكتور فيصل دراج: <<هو فكرة أو مجموعة أفكار تحرض على ما يقوم بتجسيدها وتؤكد ان هذا التجسيد ممكن، وانه ضروري لخير الانسان وسعادته. وما التقدم إلا هذا البعد التحريضي الأخلاقي الملازم لفكرة التنوير والمحايث لها>>[2]. كما أكد ذلك الدكتور أحمد برقاوي بأن الغرب ترجم الفكر التنويري الى واقع معاش اجتماعياً وسياسياً يخلق مناخاً للتنمية <<إن التنوير نزعة إنسانية ينطلق من فكرة المساواة بين البشر.. لكن دون أن ينصرف الى المساواة المجردة، بل الى المساواة المعينة واقعياً بمفهومها الاجتماعي السياسي، انه يبحث عن غياب المساواة واقعياً ليطرح المساواة واقعياً، ومن هنا تبدو فكرة الاشتراكية بوصفها نزع عدم المساواة التي ينتجها التفاوت

1مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، مجلة ثقافة شهرية، العدد 652، السنة 56، كانون الثاني، 2018، ص50.

2الدكتور فيصل دراج، مفهوم التقدم في خطاب التنوير العربي، اعمال الأسبوع الثقافي الثالث، النظام العالمي الجديد – التنوير والتنمية، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، مطبوعات جامعة دمشق، 1998، ص305.

الطبقي فكرة أصيلة في التنوير>>[3].بالتنوير احتكمت أوروبا الى العقل الذي لعب دوراً أساسياً في نشوء الثورة الصناعية فيما بعد، والذي أفضى الى نمو العلم والتصنيع كما يرى كارل بوبر: <<أرى أن كلاً من العلم والصناعة نتيجة لتلك الفلسفة التي نسميها التفاؤلية الإيستمولوجية.. إن هذه التفاؤلية هي تفاؤلية العقلانية في عصر النهضة، تلك العقلانية الأوروبية التي جاءت مع التنوير>>[4]. وفي سياق النهضة العلمية والفكرية والفلسفية لا يخفى أثر الأخلاق البروتستانتية التي افرزت حركة الإصلاح الديني البروتستنتي على يد (كالفن ومارتن لوثر) والقيم المصاحبة له كالموثوقية – الادخار – التواضع والصدق – المثابرة والتسامح والتي ساهمت جميعها في صياغة الفكر الرأسمالي، وقد حلل ذلك (ماكس فيبر) في كتابه (الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية).

– الثورة الصناعية – انتشارها ومظاهرها:

تمخض عن هذا الحراك التنويري نتائج اقتصادية واجتماعية تمثلت بالثورة الصناعية في بريطانيا، لأنها كانت قوية اقتصادياً وذات موقع جغرافي هام ومنعزل عن المشاكل داخلها. وكانت قد شهدت نهضة زراعية أدت الى تحسين معيشة الأرياف، فزاد اقبالهم على استعمال المعدات الزراعية واعتماد جانب من مدخراتهم في تطوير المشارع الصناعية. كما أدى ذلك الى سيطرة الملكيات الكبيرة والاستغناء عن عدد كبير من العمال الزراعيين، فتوفرت بذلك يد عاملة كثيرة العدد ورخيصة لتعمل في المصانع، وكان لبريطانيا رصيد كبير من المال من تجارتها الواسعة مع مستعمراتها، فظهرت المصارف التي بدأت تمنح القروض التي شجعت بدورها على نهوض عدد من المشارع الصناعية. كما تمتعت بريطانيا باستقرار داخلي بعيداً عن الحرب القارية، الاستقرار الذي ساعد الى تطور نموها الاقتصادي وظهور العديد من الاختراعات التي تفوقت بها على منافسيها. لم يوشك القرن التاسع عشر على نهايته حتى انتشرت هذه الثورة في كامل أوروبا ثم الى أمريكا الشمالية واليابان، ظهر على خلفية ذلك نظام اقتصادي جديد أدى الى تطور إنجلترا النقدي، وزيادة قدرتها المالية على اقراض الدول المختلفة، فوجدت بذلك رؤوس الأموال مجالا متسعاً خارج حدود بريطانيا. نتيجة هذا التطور الصناعي زادت مطالب العمال وأدى ذلك الى الصدامات مع أصحاب رؤوس الأموال وبدأ التوفيق بين مطالب الطرفين أمراً ملحاً، حيث اتسعت الهوة بين من يملكون رؤوس الأموال وبين من لا يملكون الا قوة عملهم فازدادت بذلك حدة الاستقطاب الاجتماعي، الأغنياء يزدادون غناً بينما تتقاسم الطبقة العاملة الفقر والعوز والحرمان. ساهمت هذه الأوضاع في ظهور أفكار العدالة الاجتماعية وبروز المفكرين الاشتراكيين وكتاباتهم مثل (ماركس) في كتابه رأس المال ونظريته عن المادية التاريخية و(انجليز) وغيرهم. وقد حرض ذلك الفكر على تفجير الثورة البلشفية في روسيا عام 1917، والاطاحة بالقياصرة الروس بزعامة (لينين) التي نادت بإنهاء سيادة رأس المال وإعطاء العمال حقوقهم والمنافسة مع النظام الرأسمالي الغربي في أوروبا وامريكا. نتيجة ذلك أعاد النظام الرأسمالي حساباته بتهدئة العمال واشراكهم في المكاسب والنظر في حقوقهم تحاشياً للاضطرابات كما حصل في روسيا، مع استمرار النظر إليهم كطبقة استهلاكية يمكن تسويق منتجات التصنيع فيها. فتأسست النقابات العمالية وتطور نفوذها في العالم الغربي وأصبحت تدافع عن حقوق العمال ومكاسبهم. عملت الثورة الصناعية على بلورة الفكر الاقتصادي مثل حرية العمل والمبادلات، فبرز بذلك دور المؤسسات الإنتاجية الكبرى في الاقتصاد وتحسنت معيشة

3الدكتور أحمد البرقاوي، ما التنوير، أعمال الأسبوع الثقافي الثالث، النظام العالمي الجديد – التنوير والتنمية، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، مطبوعات جامعة دمشق، 1998، ص389

4كارل بوبر، اسطورة الإطار، سلسلة عالم المعرفة، رقم 292، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أبريل، 2007، ص224

الناس وكذلك العمران، وتضخم الإنتاج الصناعي في ظل تطور المعدات واعتماد التقنيات وانخفضت كلفة الإنتاج وظهرت صناعات جديدة واتسع الاستثمار في الزراعة، ظهر تنظيم الإنتاج الصناعي كـ<<طريقة معينة في تنظيم الإنتاج باستخدام المكننة وتقسيم العمل المعقد>>[5]، الزراعة التي تحولت بدورها الى انتاج تجاري موجه الى السوق بعد ان كانت مقتصرة على معيشة المزارع، وهكذا تحولت الزراعة الى عنصر فعال في تطور الإنتاج الصناعي عندما وفرت له حاجاته من المواد الأولية، فظهرت الحاجة الى الأسواق الخاصة للتصريف كما تطلبت التجارة الدولية تطوير المعاملات المالية، فأنشأت المصارف واعتمد الذهب كقاعدة في المعاملات.

- المظهر الاجتماعي:

أسهمت الثورة الصناعية في القضاء على المجتمع القديم وأحلت مكانه مجتمعاً جديداً، تميز ببروز طبقتين، طبقة أرباب العمل البرجوازيين أصحاب المؤسسات الصناعية والتجارية والمصرفية التي سيطرت على الحياة الاقتصادية بامتلاكها لوسائل الانتاج بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أما الطبقة الثانية فهي من سكان المدن والنازحين من الارياف بحثاً عن فرص العمل في المصانع. قضت الثورة الصناعية على الروابط الاجتماعية التي كانت مظهراً للتكافل الاجتماعي والاقتصادي، فالمصانع بدأت بتشغيل الأطفال والنساء فقضت على تلاحم الاسرة وتفاقمت مظاهر النزوح من الأرياف للعمل في الصناعات الجديدة، فتضخمت المدن وتفوق العرض على الطلب وانخفضت الأسعار وكثر عدد العاطلين عن العمل وتزايد حدة البؤس الاجتماعي.

- المظهر السياسي:

أدت الثورة الصناعية الى تطبيق المبادئ الدستورية التي أعطت النساء والعمال حق الانتخاب وظهرت الأحزاب السياسية التي تدافع عن مصالح العمال، فاتسع مفهوم المشاركة السياسية وانتشرت قيم الديمقراطية وتفاقمت العسكرة نتيجة احتدام التنافس بين الدول الصناعية للسيطرة على مصار المواد الخام والأسواق الخارجية فازداد الطلب على المستعمرات، وانقسم العالم الى مهيمن تمثله الدول الصناعية وآخر مهيمن عليه تمثله بلدان افريقيا وآسيا وامريكا الجنوبية.

- المظهر الثقافي:

رافقت الثورة الصناعية نهضة ثقافية كبيرة من ثمارها الايمان بقدرة العقل البشري وبأهمية العلم ونتائج البحث العلمي، نشطت الحياة الثقافية عبر مراكزها المنتشرة من كل مكان من أوروبا مما أدى الى زيادة مستوى الوعي الذي قاد الى تراكم المعرفة (accumulation of knowledge)، والتي قادت بدورها الى أربع ثورات صناعية كما يصنفها الخبراء <<...الثورة الصناعية الأولى: اختراع الآلة البخارية ... الثورة الصناعية الثانية 1870 بعد مئة عام على تقنية الآلة البخارية، انتقل الإنتاج والاتصال والمواصلات الى استخدام الكهرباء... الثورة الصناعية الثالثة 1969- اختراع الحاسوب ونقل أول رسالة عن طريق الانترنت... الثورة الصناعية الرابعة وهي المرحلة الحالية، حيث ظهرت تقنيات "artificial intelligence" و "Big date" و "الروبوتات وتعليم الآلات، تقنية النانو، التحكم في الجينات، تطبيق الطباعة ثلاثية الأبعاد في الصناعة والإنتاج 3D-priating والتقنية الحيوية">>[6].

5ميشيل هارا لاموس، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، ترجمة مجموعة من المترجمين، مراجعة: عدنان مصطفى وإبراهيم عبد الرزاق، بيت الحكمة، بغداد، 2001، ص166.

6Kiely, ray, (nov 2011). Indoctrination and development: a.l. comparative analysis. Vgl pies limited: 25-26

ثانياً: الاختراق التكنولوجي للمجتمعات المتلقية – الآثار والنتائج.

– الآثار السلبية:

طرحت البلدان الصناعية منتجاتها عن طريق مستعمراتها وتجارتها التي انتعشت بتطور صناعتها وبشكل واسع في أسواق البلدان المتلقية، ناشرة معها ثقافة استهلاكية كبيرة غريبة عن قيمنا وحاجاتنا. غيرت هذه المنتجات نمط الحياة الاجتماعية والمادية، وباتت تشكل حاجات أساسية للحياة بعد ان طرحت نفسها بقوة فغيرت حاجاتنا ومتطلباتنا. الأمر الذي زاد الانفاق على الأسرة من جهة، فانتشرت بذلك ثقافة استهلاكية واسعة مترافقة مع غياب لقيم العمل المنتج في ظل هجرة العمل في الزراعة والتوجه للعمل في التجارة والصناعة. تجدر الإشارة الى ان هذه التغيرات كانت واقعاً مفروضاً على مجتمعنا انسحبت نتائجه على العالم أجمع دون استثناء، وأصبح نمطاً للحياة تحت اسم المعاصرة والتحديث، فارتبطت الثقافات المتلقية أثر ذلك بثقافة الأصل المنتج لهذه التكنولوجيا وقد عبر عن ذلك سعد الدين إبراهيم <<... غالباً ما يتفق مفهوم التحديث مع مفهوم التغريب... السبب أن معظم ما يعتبر حديثاً قد نشأ في الغرب، فأسلوب الحياة الحديثة صاغته الى حد كبير الثورة الصناعية في إنجلترا، وكان تأثير تلك الثورة واضحاً وعريضاً... فقد تأثر أسلوب حياتنا ونظامنا الاجتماعي كله بالثورة الصناعية>>[7]. وبسبب تعثر خطانا في المجتمع العربي عامةً بالسير نحو التنمية فقد فرض علينا هذا النموذج للحياة فرضاً، وقوة سيطرة هذا النموذج الغربي في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والفكر لم تترك أمام ضعفنا إمكانية للاختيار <<... كثراً ما تطرح إشكالية الاصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر على انها تشكل الاختيار بين النموذج الغربي في السياسة والاقتصاد والثقافة، وبين التراث بوصفه يقدم أو بإمكانه أن يقدم نموذجا بديلا وأصيلاً يغطي جميع ميادين الحياة المعاصرة، ... والنتيجة من ذلك كله هي غرس بنيات النموذج الغربي في بلداننا، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإذا كنا لم نختر النموذج الغربي بمحض ادارتنا، فنحن بالأحرى لم نختر ما تبقى لدينا وفينا من النموذج التراثي، لم نختره لأنه ارث>>[8]. اشتد العوز نتيجة الاستهلاك الإنفاقي المتزايد لسلع لم نكن قادرين على انتاجها اصلاً، أصبحت متطلبات أساسية لحياتنا، الذي ترافق مع هجرة العمل في الزراعة التي كانت المصدر الأساسي لحياتنا الاجتماعية والاقتصادية والتي طالما حققت قدرا من الاكتفاء الذاتي. ولكن بعد الاختراق التكنولوجي توجه معظم القادرين على العمل الى العمل في المصانع فغاب الاكتفاء الذاتي واقتصر الدخل على ما يقدمه المصنع فقط <<... بعد أن كان الفلاحون قادرون على انتاج كل ما يحتاجونه لمعاشهم، فكانوا بذلك مكتفون ذاتياً، فقدوا اكتفائهم الذاتي عندما بدأوا يلتحقون في المصانع>>[9].كما عمل ذلك أيضا على تمزيق النسيج الاجتماعي وفك الترابط الاجتماعي الذي كان سائدا، فتغير شكل الاسرة التي كانت تعمل بالزراعة، وتفككت الروابط الاجتماعية بين افرادها وضعفت علاقات الجوار، فتحول الانسان الى رقم وتكرست حالة الاغتراب عن قيم الجماعة والاسرة. ثم تكرس الاغتراب أيضا داخل نطاقه الجديد عن الآلات والمصانع التي يعمل فيها كونه دخيلاً عليها. وهي بعيدة اصلاً عن عاداته ومهاراته وقيمه ولم ننتجها من واقع حاجاتنا ومتطلباتنا<<... جاء التفكك الاجتماعي والاغتراب نتيجة التحضر الذي أعقب الثورة الصناعية وزاد في عزلة الانسان عن جيرانه وعن أفراد اسرته

7سعد الدين إبراهيم وآخرون، التراث وتحديات العصر في الوطن العربي – الاصالة والمعاصرة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985. ص224

8نفس المرجع، ص33–32

9نفس المرجع، ص229

ثم أخيرا عن نفسه، لقد تحطمت شبكة العلاقات الإنسانية التقليدية>>[10]. والتقدم التكنولوجي المخترق لثقافتنا أوقع أثراً سلبياً تمثل في زيادة الفقر والتخلف وما يرتبط بهما من مشكلات. لأنه جاء كمعطى جاهز ولم يرتبط أصلاً بحاجاتنا وآلامنا في ضوء ثقافتنا وقيمنا ولم يتم خلقه نتيجة ظروف واقعنا كما حدث في الغرب، حيث انعكس على التنمية لديهم ورفع من معدلاتها في الوقت الذي أحدث لدينا أثراً سلبياً ومدمراً <<... أدى التقدم التكنولوجي الى احداث تغيير جذري وسريع في حياة الناس، ولكن الفجوة ما زالت كبيرة... فمع حدوث تقدم انساني بارز في الدول المتقدمة تبدو الصورة مختلفة للعديد من الدول الفقيرة، حيث يتوسع الحرمان البشري وتحدث تراجعات كبيرة في البلدان النامية، يعيش واحد من ثلاثة أشخاص في فقر مدقع(تقرير التنمية البشرية لعام 1995 ص150)>>[11].هذه القيم الاستهلاكية والانصراف عن قيم العمل المنتج جاءت نتيجة للآليات التي اتبعها الغرب من نقل التكنولوجيا الينا. الاستعمار– التبعية الاقتصادية والذرائع المتبعة لتحقيق ذلك تحت مسمى العصرنة والحداثة وما الى ذلك <<.. العمليات المرتبطة بنشر الحداثة تساعد على نشر القيم والرموز وأساليب السلوك المرتبطة بالاستهلاك...>>[12]. وكان قد أشار العلّامة ابن خلدون الى حالة الرفاه التي يخلقها التطور التكنولوجي من البذخ واستعمال الأدوات المصنوعة التي تخلق ثقافة الاستهلاك وتزيد من المتطلبات التي لم تعد كمالية بل ضرورة ملحة تضغط باتجاه زيادة الانفاق<<...مع ما حصل لهم من اتساع العيش والنفق في احواله. تطوروا بتطور الحضارة والترف في الأحوال واستجارة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش والابنية وسائر الماعون، وكذلك احوالهم في أيام المباهاة والولائم.. فاقوا في ذلك وراء الغاية>>[13]. ونتيجة ذلك ظهرت مشكلة صراع القيم الى السطح. متمثلة في التناقض بين قيم الغرب الصناعي المنقولة الينا مع الاختراق التكنولوجي وقيمنا السائدة. <<.. عندما يتعرض المجتمع للتأثير والتغير فإنه يبدي تخوفه من الحداثة، لأنها تبدو للوهلة الأولى متناقضة مع هويته ومتباينة مع شخصيته وهذا يؤدي الى الصراع والتوتر.. والى مشكلة اجتماعية يتوقف حجمها على مدى التناقض بين قيم الحداثة والقيم السائدة...>>[14]. ولا ننسى الأثر السلبي الذي طال الاسرة والمدرسة كمؤسستين للتنشئة الاجتماعية عبر تكنولوجيا الاتصالات المخترقة <<... ان النظر للعولمة بوصفها ثورة تكنولوجية اتصالية... قد اثرت في مؤسسات الاجتماع والثقافة التقليدية، وهما الاسرة والمدرسة اللتين لم تعودا قادرتين وفق صيغ ادائهما الحالية على حماية الامن والثقافة للمجتمع، والايفاء بحاجات افراده من القيم والرموز والمعايير والمرجعيات التي أصبحت تصاغ خارج حدود الجغرافيا والاجتماع والثقافة الوطنية>>[15].كذلك لعب تطور وسائل النقل الذي فرضته ثورة التصنيع وضرورة نقل المنتجات الى الأسواق العالمية وحركة التجارة الدولية دوراً في نشر ثقافة الاستهلاك. كذلك الحركة الاستعمارية الاوربية للشرق الأوسط التي استعملها الغرب لبسط نفوذه في فتح الأسواق

10المرجع السابق، ص230

11علي فاعور، افاق التحضر العربي– نمو المدن والعواصم الكبرى– التنمية الحضارية والسكن العشوائي، دار النهضة، لبنان، بيروت 2004، ص366.

12زايد، 2003، ص7، (مأخوذ عن ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2006، ص71).

13عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، 2004، ج1، ص338.

14عطية، 1993، ص3، (مأخوذ عن ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2006، ص73).

15أبو حلاوة، 2001، ص87، (مأخوذ عن ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2006، ص74).

لمنتجاته والسيطرة على مصادر المواد الأولية اللازمة للتصنيع. <<... ان النزعة الاستهلاكية قد تركزت أولاً في الأقاليم التي تطور فيها اقتصاد تجاري على نحو أكثر كمالاً، وقد ازداد نفوذ الاستهلاك الغربي في القرن التاسع عشر بسبب تدفق السلع الصناعية من اوروبا، وارتباط هذا التدفق بأنظمة النقل الجديدة التي سهلت التغلغل، وبسبب حلول حكومات استعمارية أوروبية صريحة...>>[16]. كذلك لعب الاختراق الثقافي دوراً سلبياً على الاسرة في مجال تكنولوجيا الاعلام عبر القنوات الفضائية المخترقة وكذلك عبر الحاسوب والانترنت <<... ان ثورة المعلومات والاتصالات قد أثرت وستؤثر أسرع في حياتنا، وهي اليوم من العوامل التي تقيد تشكيل خياراتنا وثقافتنا وارادتنا وسلوكنا على المستوى العام والفردي، ... فقد تعرضت الاسرة للبث المباشر عبر الأقمار الصناعية التي ترسل برامج ومضامين واعلانات مغايرة للثقافة العربية والقواعد والسلوك والأخلاق والقيم السائدة... والذي تقضي معه الفئات العمرية الشابة ساعات ممتعة دون ملل. أصبح يحطم منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية الإيجابية المتوارثة عبر الأجيال... أما الحاسوب والانترنت... فهي بصدد خلق عالم الكتروني يتجاوز العالم الواقعي، وهي تشكل نوعاً من المواطنية الالكترونية، هذه المواطنية هي بصدد تنميط الاذواق والتفضيلات والتوجهات، من خلال مفاهيمها بلغتها ومصطلحاتها وشاراتها ورموزها، كذلك العاب الكمبيوتر هي مستوردة تعتمد على صور ورموز ودلالات تنتمي الى الثقافة الغربية، تفيض بالعنف وتعلي من شأن القوة ومن قيم الاستهلاك والروح الفردية... كذلك الحال بالنسبة لواقع شبكة الانترنت التي تنتشر فيها الصور والأفلام الإباحية فهي تقدم فيضاً من المعلومات والآراء والأفكار التي لا تتفق مع أسس ومقومات ثقافتنا>>[17]. هذا بالإضافة الى دور هذه الوسائل في الحد من مستويات التفاعل الاجتماعي وتفكيك الروابط الاجتماعية وتضييق دائرة التفاعل بين الآباء والابناء الذي يعتبر ضروريا لعملية التربية داخل الاسرة، مثل النصح والتوجيه. <<... تمثل برامج التواصل الاجتماعي مجتمعاً افتراضياً يلتقي فبه الناس بشكل ما، وهناك حالات باتت سائدة في بيوتنا وأماكن عملنا ومجتمعنا، فالجميع منحنو الرأس والهدوء سيد الموقف رغم اكتظاظ المكان بمن فيه، فقد تراجع التواصل الحقيقي. الجميع منشغلون عن الجميع من حولهم. واكثر اللقاءات الاجتماعية فقدت بريقها وحيويتها>>[18]. كما شخصت بعض الدراسات العلمية حالات نفسية وعصبية مرتبطة بالممارسات المستمرة والغير هادفة لهذه الوسائط، والتي اشارت اليها الدراسة بـ (ادمان العصر). <<... النوموفوبيا- ادمان العصر. مصطلح تم اطلاقه عام 2008 من قبل المتخصصين في بريطانيا، بعد معاينة مجموعة من التصرفات المرتبطة بالأجهزة الذكية. أشارت الدراسة التي نشرتها مجلة الديلي ميل البريطانية ان معدلات الإصابة تنتشر بصورة أكبر بين أوساط الشباب من عمر 18-24 عاماً، حيث اكدت ان 77% منهم لا يستطيعون التواجد بعيداً عن هواتفهم المحمولة لثوانٍ معدودة، فيما بلغت النسبة 68% بين الفئتين العمريتين 25-34 سنة، وبينت كذلك ان النساء مهووسات بتفقد هواتفهم أكثر من الرجال. وتوصل الباحثون في جامعة شيكاغو الى ان اغراء البقاء على الاتصال مع تويتر او فيسبوك يفوق الرغبة في ممارسة الجنس او تدخين السجائر...>>[19]. أيضاً تلعب عملية مراقبة حياة الاخرين وتفاصيلها دوراً في اثارة القلق والشك والتساؤل، لماذا هم كذلك وليس انا، لماذا لا افعل ما يفعلون، كيف فاتني ذلك، ليتني مثل هؤلاء، اريد ان افعل ما فعله فلان، وهكذا ينسى

16بيترن- ستيرنز، تاريخ النزعة الاستهلاكية في العالم- التحول العالمي في الرغبة، تر. عادل العامل، وزارة الثقافة، دمشق 2006. ص180-32.

17ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2006، ص76.

18مجلة ارتقاء، مرجع سبق ذكره، ص50.

19المرجع السابق، ص52.

الانسان نفسه ويفقد الاهتمام بطموحاته وأهدافه وتطلعاته كشخص فاعل الأمر الذي يغيب جانب التفرد في شخصية المرء. وهذا يؤثر سلباً على الشخصية الفاعلة داخل المجتمع <<... الشباب يقضون ساعات طوال امام شاشاتهم وهذا يؤدي الى التوتر والقلق وتنامي المشاعر السلبية كالغيرة والحسد بسبب متابعة تفاصيل حياة الاخرين، حيث قال عالم النفس المتخصص في ادمان التكنولوجيا "ريتشارد اجراهام" هناك ذلك الإحساس المزعج ان احداً ما يتجاهلك. على الشباب التحكم في شعورهم بأنهم مستبعدون من الناس المهمين لديهم...>>[20].هذا يؤدي بالضرورة الى خمود العاطفة داخل النفس الإنسانية، لان ذلك مصاحباً لغياب اللغة والحوار والحديث مع الاخرين والتفاعل معهم، حيث يتحول الانسان الى آلة، وهذا يقود الى العنف والعدوانية بسبب الابتعاد عن الاحتكاك بالآخرين، ناهيك عن الاستخدام الدائم لهذه الأجهزة الذي يقتل ملكة الابداع عند الانسان، لأنه فيها متلقي فقط يحصل على ما يريد من أجوبة دون عناء، كما انها لا تتيح له الوقت للتبصر والحكمة في معالجة الأمور المختلفة، فهي تشجع على الرد السريع على كل ما يقرأ من مشكلات عبر التواصل على الشاشات، إضافة الى استهلاك معظم الوقت مستسلماً لهذه الشاشة دون ان يقوم بنشاطات مفيدة تنمي الشخصية والصحة والقدرة على الإنجاز والخلق والابتكار.

- الجوانب الإيجابية:

لقد حسنت الثورة العلمية التكنولوجية حياة الانسان ورفعت مستوى المعيشة، فقد استطاع الانسان من خلالها الاحتكاك بالثقافات الأخرى والاطلاع على كل المستجدات في العالم، وهي حصيلة التراكم المعرفي العلمي والتطور التقدمي للإنسان في كافة مجالات العلوم، الطب والهندسة والاتصالات ونظم التعليم والنقل والتجارة والتسويق. الأمر الذي سرع ورفع من معدلات التنمية الاقتصادية وساهم في تطوير نظم الإدارة والجامعات الافتراضية وزاد من إمكانية التدريب الذاتي في كافة المجالات مما ساهم في رفع مستوى الوعي والتأمين الصحي وخفض نسبة الوفيات من خلال استحداث تقنيات جديدة لمعالجة الامراض، كما ساهمت التكنولوجيا في الكشف عن الثروات المعدنية في باطن الأرض بتطوير أجهزة الاستشعار عن بعد، كذلك أبحاث الفلك التي حلت الغاز الفضاء الخارجي <<... لقد ساهمت التكنولوجيا في الوصول الى المعلومات بسهولة وتوفير فرص عمل جديدة. خاصة في مجال الرعاية الصحية مثل تقنيتي "Eeg" والرنين المغناطيسي، بالإضافة الى أنواع الوظائف الجديدة في مجال الهندسة البيولوجية وتكنولوجيا المعلومات عملت التكنولوجيا على تحسين حياة الانسان وجعلها ابسط من السابق وأكثر رفاهية، كذلك ازدياد الإنتاجية لدى الناس بشكل كبير سواء على المستوى الزراعي او التجاري، لقد أصبحت هذه العمليات تتم بشكل آلي وبدقة أكبر مما كانت عليه في السابق. كذلك اكتشفت العلاجات لكثير من الامراض وعملية العناية بالمريض وتوفير الادوية أصبحت أسهل مما قلل عدد الوفيات، وكذلك تطوير عملية التسويق وظهور العديد من الوظائف في سوق العمل مما مكّن الأشخاص الغير قادرين على الاعمال الجسدية من كسب قوتهم من الاعمال التي وفرتها التكنولوجيا>>[21].

ثالثاً – آلية التعاطي مع الاختراق التكنولوجي الصناعي الغربي:

20المرجع نفسه، مجلة ارتقاء، ص52.

21ويكيبيديا الموسوعة الحرة، سعيد الحاج، البحث العلمي– الماهية والمنهجية، دار القضية للنشر، الجزائر 2014، (مأخوذة عن : ويكيبيديا الموسوعة الحرة – https//ar.m.wikipedia.org) ص101.

هذه الموجة من التأثيرات السلبية والايجابية على مجتمعاتنا التي أحدثتها ثورة التصنيع الغربي المخترقة لثقافتنا، أثارت بالمقابل العديد من ردود الأفعال الفكرية والاجرائية في التعاطي معها، تنوعت ردود الأفعال هذه بين رفض وتأييد في التفاعل معها او توظيف نتائجها لمصلحتنا المجتمعية على كافة الأصعدة وخاصة الصعيد الفكري والثقافي، فقد رأى بعض المفكرين بأن الأسباب التي ساهمت بخلق هذه التكنولوجيا وساعدت على ظهورها يجب ان يتوفر في كل البلدان كمشروع للتنمية وإلا لن يحصل فيها تطور تكنولوجي وخاصة قيم العدالة الاجتماعية والديمقراطية، وفي هذه إشارة واضحة من قبلهم لتبني هذه الأفكار وتهيئة البيئة الاجتماعية المناسبة للتطور الصناعي والتكنولوجي في مجتمعنا على نحو ما حدث للغرب تماماً. <<... ابتدع "Pye" نظرية تحويل تقضي في جوهرها على ان جميع البلاد التي تم فيها التحديث تتشابه في بنيتها بالنسبة للقيم الديمقراطية.. الذي خلص فيه الى ان المحددات التنظيمية لسلوك العمال في كل من اليابان والولايات المتحدة، تتماثل في دعمها لنظرية التحويل، واخيراً اهتدى "انجل هارت" الى فرضية تقول: بان أولئك الذين بلغوا مرحلة ما بعد التصنيع سوف يعتنقون قيماً اقل مادية في مضمونها.. >>[22]، في حين رأى البعض الاخر بأن هذا الفضاء الكوني الذي اصبح عنواناً للعصر الحديث لا محيد عن الانخراط فيه ولكن ليس كيفما اتفق، بل يجب أن تكون عملية الانخراط في اطار تفاعلي أي بتأثير متبادل، لا أن نكون نحن المتأثرين برياح التغيير العالمية هذه كما يجري على أرض الواقع في مجتمعاتنا، ويكون ذلك من خلال الحفاظ على هويتنا الثقافية وبناء المواطنة والحرص على الهوية الذاتية من خلال تطوير نظام التربية لدينا وقيم الفكر المؤسساتي وتحديث وإصلاح نظم التربية والتعليم، ونشر أهمية العلم والايمان بنتائج البحث العلمي، <<..تواجه مجتمعاتنا العربية في شرطياتها الكونية والمحلية الراهنة، مجموعة هائلة ومعقدة من المشكلات والاكراهات والتحديات، التي تحاصرها معيقة إياها عن الانخراط الإيجابي الفاعل في زمن الحداثة والتنمية، بكل قيمه ومعاييره ومتغيراته ورهاناته المتعددة الابعاد والمرجعيات والدلالات. اننا نتحدث الآن في إطار عصر غدا موسوماً على المستوى الكوني بسقوط القناعات والعقديات الكبرى.. إن التربية بمفهومها النظامي العام هي الدعامة المفصلية لبناء الذات وتقويتها بهدف المجابهة لما يطرحه على مجتمعاتنا عهد العولمة من قضايا واكراهات ومشكلات، وهي المقدمة الضرورية وجسر العبور الامن الى رفع مختلف التحديات اقتصادية او سياسية او ثقافية او اجتماعية او حضارية شاملة... ان اصلاح وتحديث وتجديد نظم التربية والتعليم والتكوين بمجتمعاتنا وتأهيلها مؤسسات وتوجهات ومضامين وآليات اشتغال وتدبير واقدارها عبر ذلك على القيام بمهامها وتوزيع ونشر المعارف والعلوم والتقنيات والمهارات والقيم الثقافية والحضارية، وعلى المساهمة في بناء المواطنة وتفصيل الهوية الذاتية لهوَ ضرورة حضارية لا محيد عنها كي تنخرط بلداننا بكفاءة وفعالية وحصانة ذاتية في استحقاقات العصر، وأن تبني مساهماتها في ذلك على مثاقفة متكافئة ديمقراطية، تتبادل في اطارها التأثير والتأثر والاخذ والعطاء...>>[23] مؤكدين أن انخراطنا في زمن العولمة التكنولوجية والصناعية هذه يجب ان لا يتعارض مع خصوصيتنا الثقافية والحضارية بل يجب ان يكون منبثقاً عنها مطابقاً لمتطلباتنا وحاجاتنا وهمومنا الاقتصادية والاجتماعية وغيرها. لكي نتمكن وفق هذا الخط من الفهم من مواجهة تحديات هذه التكنولوجيا المخترقة الطامعة في مقدراتنا والتي سبق أن وضح الهدف منها في مجتمعاتنا لتستمر صناعة الغرب المتطورة والمتمثلة في السيطرة على هذه المقدرات وفتح أسواقنا أما الفيض الهائل لمنتجاتها. أي ان نصنع تكنولوجيا ذاتية نابعة من متطلباتنا نحن، مثل ان

22سعد الدين إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص223.

23مصطفى محسن، نحن والتنوير، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص8.

نطور اقتصادنا الزراعي ونسعى الى مكننته، ونطور التكنولوجيا في اطاره، ليس كما حصل فعلاً بأن هجرنا العمل في الزراعة ودخلنا مصانع الغرب في بلادنا، فلا طورنا صناعة خاصة بنا ولا حافظنا حتى على زراعتنا بالحد الأدنى، ناهيك عن تطويرها! <<...اننا ندعو الى ضرورة العمل المتواصل الدؤوب على ان يكون زمن التنمية والتحديث او التنوير الذي نبحث عنه زمناً طويلاً مطابقاً لخصوصيتنا الدينية والثقافية والسوسيوتاريخية، ولعمقنا الحضاري من جهة ومتفاعلاً من جهة أخرى مع متغيرات ومطالب السياق الكوني الذي تنتمي اليه في ظل ما يمارس علينا من صراعات من قوى وتفاعلات وتحالفات هذا السياق الكوني، من اقصاء قصدي واستغلال متنوع>>[24]. لقد رأى بعض المفكرين في العلم ونشر قيم الثقافة العلمية، الحل الأكيد لخلق بيئة صناعية والتي هي حصيلة هذه الثقافة العلمية، معتبرين أن لدينا في موروثنا الثقافي قيماً بالية ورواسب مظلمة يجب تخليص منظومتنا الثقافية والاجتماعية منها لأنها غير قادرة على خلق تكنولوجيا وتصنيع بهذه القيم. وفي هذا إشارة الى طبيعة العلاقة التي تربط التطور التكنولوجي والصناعي بمنظومة القيم في أي مجتمع، وتنويه الى انه يتوجب علينا إعادة النظر في منظومتنا الثقافية والقيمية والأخلاقية وتخليصها من الموروث البالي وتدعيم قيمة العلم فيها لنتمكن من خلق تصنيع خاص بنا كمجتمع. العلاقة هنا تفاعلية أيضا بين القيم والتصنيع الذي يخلقه نشر العلم. فالقيم المبنية على العلم تخلق التصنيع والتكنولوجيا، وهذه بدورها تطهر منظومة القيم من الرواسب البالية وتجعلها بيئة صالحة للتنمية <<...ان العلاج الوحيد القادر على اجتثاث الامراض المستعصية بالمجتمع الأهلي يكمن في نظر موسى، في الصناعة ثمرة الثقافة العلمية. اذ بفضل البيئة الصناعية نستطيع تحطيم الرواسب الشرقية من الثقافات والتقاليد والغيبيات، أي أن هذه البيئة لا تنهض الا على العلم وهو نار كاوية تحرق جميع هذه الرواسب وتبدد عنفها هباءاً>>[25] ، وبالنظر الى تنوع هذه المواقف الفكرية من الإشكالية يمكن القول انها بالمجمل تنحصر بثلاثة اتجاهات منها من يدعو الى تبني النموذج الغربي بامتياز بوصفه نموذجاً للعصر كله، واخرون سلفيون يدعون الى العودة الى الفكر الإسلامي العربي كما كان، ويرون فيه حلاً لكل مشكلات العصر، بينما يرى توافقيون ضرورة تبني مواقف انتقائية بين هذا وذاك تدعو الى الاختيار بين افضل ما في الاتجاهين معاً، ولكن واقع الحال في مجتمعنا يشير الى المشكلة باعتبارها ليست مشكلة اختيار بل هي مشكلة تعاطي خاطئ مع جوهر المشكلة، تدغدغ الوعي ان صح التعبير ليس إلا ولا تقدم حلاً جذرياً للتحديات المطروحة من هذا الاختراق الثقافي. فتجدنا في الوقت عينه نبدد طاقاتنا وامكاناتنا الفكرية والمادية هنا وهناك دون تبني موقف صريح، فنتبنى النموذج الغربي بامتياز وهنا نخضع للاختراق وكل ما يحمل من مخاطر وتبعات، وفي ذات الوقت ندعو الى التمسك بقيمنا وهويتنا، وننفق أيضا على مؤسساتنا التقليدية في محاولة للحفاظ على تقاليدنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فالمشكلة تتمثل في هذه الازدواجية إذاً: <<.. المشكل الذي يواجهنا ليس مشكل ان نختار بين أحد النموذجين، ولا مشكل ان نوافق بينهما.. بل هو مشكل الازدواجية التي تطبع كل مرافق حياتنا المادية والفكرية.. نصرف على القطاعات العصرية من أجل تدعيمها وتوسيعها باسم التحديث، كما نصرف على القطاعات التقليدية من أجل الإبقاء عليها، وإحياء المندثر منها باسم الاصالة والحفاظ على التقاليد.. لكننا نرفض بالوقت نفسه هذه الازدواجية. على صعيد آخر صعيد الحياة الروحية والفكرية، فريق يدعوا الى تبني القيم الفكرية العصرية، التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من النموذج الحضاري الغربي، وفريقاً آخر يدعو الى التمسك بقيمنا التراثية وحدها، وفريقاً آخر يلتمس وجهاً أو وجوهاً

24مصطفى محسن، نحن والتنوير، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص10.

25غريغوار مرشو، أيدلوجيا الحداثة بين المثاقفة وانفصام الحضاري، الأهالي للطباعة والنشر والتوثيق، دمشق، سوريا، 2000، ص4-1.

للتوفيق، الشيء الذي يعني محاولة التخفيف من وقع هذه الازدواجية على الوعي ليس إلا>>[26]. وفي موقع آخر يجري التأكيد على أن ليس هناك ما هو مشترك تماما بين جميع الحضارات التي أنشأت وطورت تنمية تكنولوجية وصناعية، بل هناك حالة مشتركة واحدة هي التراث الثقافي والفكري والاجتماعي الذي انطلقت منه كل التطورات التكنولوجية للمجتمعات التي صنعت ذلك في ضوء الخصوصية الحضارية لكل مجتمع وخصوصية التراث العائد له. وهنا إشارة هامة لضرورة أن يكون التعاطي للارتقاء في التكنولوجيا والتصنيع من واقع تراثنا وقيمنا، ومن الضروري والهام في هذا الموقع أن نتعلم من التاريخ، لان من لا يتعلمون من التاريخ محكوم عليهم بتكراره وهذا حال مجتمعاتنا، والتجربة الاشتراكية في العالم خير دليل على ذلك في كل من الاتحاد السوفييتي السابق والصين حالياً. فقد طبق الاتحاد السوفييتي السابق نظاماً اشتراكياً صارماً قائما على التطبيق الحرفي للنص الماركسي في نظريته عن المادية التاريخية، الامر الذي جعل هذا التطبيق الاشتراكي لديهم ينصب في قوالب جامدة لا تتناسب مع واقعهم الاجتماعي والقيمي، في حين طوع الصينيون هذا النص الماركسي الى شكل يتناسب مع ظروف وهموم ومقتضيات المجتمع الصيني ونجحوا في ذلك، إذ تتبوأ الصين اليوم مستوى من التنمية الاقتصادية يجعلها تحقق اعلى معدل للنمو الاقتصادي في العالم رغم تعداد سكانها الهائل، <<.. ليس هناك قانون عام واحد يعبر عم (ميكانيزمات) النهضة في كل العصور والأوطان... ان جميع النهضات التي نعرف تفاصيل عنها قد عبرت أيديولوجيا عن بداية انطلاقها بالدعوة الى الانتظام في تراث وبالضبط بالعودة الى الأصول، ولكن ليس بوصفها كانت أساساً لنهضة مضت يجب بعثها كما كانت، بل من أجل الارتكاز عليها في نقد الحاضر ونقد الماضي القريب الملتصق به، المنتج له، المسؤول عنه، والقفز الى المستقبل>>[27]. ومن هنا تظهر أهمية معرفة التاريخ (الماضي) والاهتمام بدراسته من أجل فهم (الحاضر) والتنبؤ بالمستقبل، لغرض قيادة وتوجيه عملية التغير الاجتماعي الحتمية على نحو ما نرغب لتحقيق التنمية المأمولة. وعلى أثر هذا المخاض الفكري في مواجهة المشكلة ولدت تيارات ثلاث، تبنى كل منها رؤية في المواجهة ووجدت نفسها في صراع بعضها مع بعض. منهم الليبراليون والماركسيون وكذلك التراثيون السلفيون، والنتيجة ان هذه التيارات بدلاً من أن تتصدى لمواجهة حقيقة تخرج منها بحلول لهذه الإشكالية، ألهتها صراعاتها الفكرية بعضها مع بعض عن الهم الأساسي (التصدي للاختراق التكنولوجي الغربي – الاستفادة من مخرجات التصنيع – تطوير تنمية تكنولوجية من واقع ثقافتنا) <<... يرى العملاء الليبراليون المشكلة الأساس في تخلف العرب عن إنجازات الغرب الرأسمالي في مستوى الدخل والاستهلاك، في التكنولوجية المطبقة والتنظيم في نظم الحكم والحريات المتاحة، بل وايضاً في قواعد السلوك وأنماط التفكير، ليس هناك في نظر هؤلاء من مشكلات العرب ما لا يحله العلم والموقف العقلاني والتكنولوجية المتقدمة. والعلماء الماركسيون ليسوا أقل من الليبراليين حماساً للعلم، لكنهم يميزون تمييزاً صارماً بين الغرب الرأسمالي والغرب الاشتراكي، ويرون أن السؤال عمن يوضع العلم والتكنولوجيا في خدمته: الأقلية أم الغالبية، ويرون المشكلة في تبعية العرب للغرب الرأسمالي، وخضوع مواردهم للاستغلال الخارجي بمعونة حفنة مستفيدة من الداخل، والحل في كسر التبعية وممارسة العرب لإرادتهم السياسة والاقتصادية، ووضع العلم والتكنولوجية في خدمتهم، أما التراثيون السلفيون يرون المشكلة في تخلي العرب والمسلمين عن أصول الدين وقواعده، التي هي صالحة للتطبيق اليوم كما كانت دائماً، وفي اتباعهم لفكر مستورد وغريب عنهم لا يحقق الخلاص لا في الدنيا ولا في الآخرة، وفي استبدالهم سحر التكنولوجية

26سعد الدين إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص34.

27نفس المرجع، ص36.

الغربية أو الماركسية المادية بأوامر الله ونواهيه. وأن الحل يكمن في التطبيق الصحيح للشريعة. فالتيارات الثلاث يبادل كلاً منها الآخر بالرفض والاستخفاف فالعلماني الليبرالي يسخر من إصرار الماركسي من فكرة التبعية والدعوة الى الاستقلال الاقتصادي في عالم لم يعد فيه مجال لاستقلال امة عن أخرى، ويرفض التضحية بالحريات في سبيل أمل مزعوم في تحقيق المساواة بينما العلماني الماركسي يسخر من احتقار الليبرالي للعامة وعزله للأهداف الاقتصادية عن الهدف الاجتماعي، ومن زعم الليبرالية أن التنمية السريعة كفيلة بعموم النفع على الجميع، ويفضل نمواً أكثر بطئاً، اذا احسنت توزيع ثمراته، ويصر على التمسك بهدف الاستقلال، فيتهم الليبرالي بأنه مجرد بوق لصالح الرأسمالية الدولية... بينما التراثي السلفي يرى في العلماني والماركسي معاً وجهين لعملة واحدة رديئة، فالاثنان يضخمان هدف التنمية الاقتصادية على حساب الخلاص الروحي...>>[28]. يرى ماركس (ان التاريخ لا يعيد نفسه إلا على نحو هزيل) ما يؤكد أن التعاطي السلبي مع التكنولوجية الغربية المخترقة ثقافياً بشكل اعمى كما يحصل في مجتمعاتنا من خلال اخذها كمعطى جاهز بمجرد نقل وتقليد وتبني لها بامتياز، دون محاولة فهم عواملها وآثارها وتبعاتها وعلى حساب قيمنا وثقافتنا، هو أمر يؤدي الى الانصهار في ثقافة الغرب والذوبان فيها وبالتالي فقدان الهوية والانتماء. كما أنه لا يوفر الأسباب التي تجعلنا قادرين على تطوير تكنولوجيا وتصنيع خاص بنا من واقع حاجاتنا وسعينا الى التنمية، وبالتالي الوصول الى التنمية المستدامة التي تكون من انتاجنا نحن، فلا نعمل على إعادة إنتاج أوروبا والغرب في مجتمعنا، لان وراء ذلك فقط التبعية وفقدان الهوية. وقد أكد باحثين غربيين في التنمية على ذلك، بأن أي تنمية في العالم الثالث يجب ان تنطلق من واقع هذه البلدان ومشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية، لا من التقليد والنقل للنموذج الغربي كما يحصل في التعاطي مع التجربة الغربية، ولن يحقق أي نموذج للتنمية تطوراً يأخذ شكل التقدم (progress) في هذه البلدان الا إذا كان نابعاً من واقع مشكلاتنا وحاجاتنا. <<... يقول لنا بعض مفكري التنمية المحدثين في الغرب: ربما نكون قد أخطأنا حقاً بتعليق أهمية مبالغاً فيها بافتراض ان التنمية في العالم الثالث لا بد أن تكون صورة مكررة للتنمية الأوروبية، وفي تقسيم مراحل النمو الاقتصادي في العالم الثالث طبقاً لمراحل النمو في الغرب، وان من المهم الآن للعالم الثالث أن يشرع في تنمية مستقلة، تعنى بتوزيع الدخل عنايتها بتنظيم معدل النمو، وتركز على اشباع الحاجات الأساسية، بدلاً من التركيز على زيادة الدخل الاجتماعي، وتختار التكنولوجيا الأكثر ملائمة لنسب عناصر الإنتاج المتوفر لديها>>[29]. لكن القبول بهذا الرأي في التعاطي مع المشكلة يتطلب بدوره إعادة تأهيل منظومة القيم في مجتمعاتنا، لكي تكون صالحة لإنتاج التكنولوجيا والتطور التقدمي في هذا الاتجاه كما حصل في أوروبا والغرب عموماً، من نشر لثقافة العمل والعلم وتنظيم تقسيم العمل الإنتاجي، والنظر بجدية في قضية المرأة كعنصر فاعل في المجتمع وتمكينها من الانخراط بجدية في قطاعات الإنتاج وتجاوز القيم البالية من موروثنا الاجتماعي التي تحد من ذلك، على خلاف ما يحصل حالياً في قطاعات واسعة من مجتمعاتنا. هكذا تتم الاستفادة من تجربة الغرب بفرز الجوانب الإيجابية واظهار الميكانيزمات الفاعلة في صناعة تكنولوجية حقيقية ثم اسقاطها على واقعنا لكي تسعى الى خلق تنمية مستدامة في هذا الاتجاه. <<.. لا شك وأن قضية المرأة وعلاقتها بالرجل مطروحة على الواقع الاجتماعي وتتسم بحدة متزايدة في قطاعات واسعة من العالم الشرقي، نظراً لاتساع هذا التناقض بين مفاهيم واحتياجات التحديث، والتغير الاقتصادي–الاجتماعي المواكب لبناء الاقتصاد الوطني المتقدم من ناحية، وبين التقاليد والمفاهيم الموروثة من عصور

28المرجع السابق، ص760–758.

29سعد الدين إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص771.

سابقة من ناحية أخرى، فتارة تتحرك الجمعيات النسائية في توسيع نطاق الحريات القانونية التي تتمتع بها المرأة والعمل على مساواتها واقعياً من الرجل، وتارة تمارس المرأة حرية التحرك الاجتماعي والسلوكي مع الرجل، ولكن في اطار الضوابط التقليدية بشكل يجعل هذه الحرية مختلفة تماما عن مثيلتها في دول الغرب الصناعي.. وتارة تدعو القيادة السياسية بقوة الى الإطاحة بقيم الخضوع الموروثة من عصور الاقطاع مما يدفع المرأة الى التقدم السريع نحو ممارسة قسط أوفر من الحرية>>[30]. ان التكنولوجيا تنبع من جهود الشعوب نفسها وحكوماتها، فالحرية لا توهب لأنها ليست صدقة بل تؤخذ لأنها حق كما يرى (غاندي) فالتعاطي من باب التقليد مع التكنولوجيا الغربية لا يصنع تنمية في مجتمعنا كما هو حالنا الآن، بل لا محيد عن الاجتهاد في صنعها من واقع همومنا وحاجاتنا وهذا يتطلب إرادة شعبية وحكومية كي لا تقع فريسة لاختراق الغرب والذوبان في قيمه وثقافته كمستهلكين وتابعين فقط ويكون ذلك من خلال الحرية المسؤولة التي تدفعنا الى العمل المنتج وتكريس طاقاتنا باتجاه صناعة تنمية مستدامة خاصة بنا، <<.. والتقنية على أهميتها وجوهريتها ومركزيتها للتحول التاريخي الايجابي في أمتنا وفي كل أمة ليست سحراً، بل تحتاج فقط الى إرادة ومقومات وإجراءات وحسن أداء واخلاقيات عمل ودعم قوي وتسخير للإمكانات وحسن الإدارة، إدارة قيادية متكاملة وابتكارية وليست ذات سمات بيروقراطية تقليدية، على ان يرتكز كل ذلك على استراتيجية توجيهية عليا، واستراتيجية تنفيذية، والتقنية لا تمنح ولا تعطى بل ولا تنقل بنفس الأساليب التي تسوق لها الشركات والدول الأجنبية بل تأخذ أخذاً، وأحيانا تنتزع انتزاعاً>>[31].ولكي يكون التعاطي ايجابياً مع هذا الفضاء الكوني المسيطر الذي لا مفر منه، ولأن التكنولوجيا لا بد منها لتحقيق التنمية، يجب معرفة الجوانب الضرورية في الثقافية الصناعية والإجراءات الواجب تكريسها وتحقيقها لتحقيق التكنولوجيا واستحواذ التقنية وهي نفسها التي تواجدت في الغرب وكانت أساسا في تطوره التكنولوجي والصناعي، لا ان نقلد تقليداً اعمى ونأخذ كل التجربة الغربية السلبي منها والإيجابي. وتتوزع هذه الإجراءات والنشاطات على الاتجاهين الشعبي والحكومي من خلال تطوير العلم ونظم الإدارة ووضع الاستراتيجيات الملائمة لذلك: <<1- تأسيس هيئة حكومية مركزية (قيادية) إدارية – رئاسية – للبحث والتطوير التطبيقي، 2- تأسيس وانشاء مراكز بحوث وتطوير تطبيقية، 3- تأسيس منظومة جهازية (أجهزة حكومية وإدارية وإجراءات)، 4- تبني كوادر خاصة مؤهلة مبدئيا يتم انتقاءها من مختلف المستويات من المغتربين والموهوبين، 5- إيجاد أنظمة كادريه تضمن الامن الوظيفي على أحسن صيغة، 6- إيجاد واتباع استراتيجية تعليم تصب في حقول تأسيس وتنمية وازدهار القاعدة التكنولوجية وتعزز القاعدة العلمية المناسبة بامتلاك مقومات القاعدة التكنولوجية، 7- تحديد وتقنين وتأسيس آلية لتحديد الأدوار المتبادلة بين القطاعين الحكومي والخاص، 8- تأسيس استراتيجية إعلامية ارشادية، 9- استهداف التكامل بين أنشطة البحث والتطوير فيما بين كافة الدول العربية، 10- الانطلاق في كل ما سبق من أهمية عنصر الزمن>>[32]. وقد تحدث العلامة ابن خلدون في المقدمة عن التعاطي السلبي مع اشكال التحضر التي شهدها العرب في زمانه والتي إذا اسقطناها على زماننا نجد اننا ما زلنا في مجتمعاتنا العربية اليوم يمارس ذات العلاقة مع فرزات التصنيع والتكنولوجيا الغربية المنشأ من زاوية التراخي في التلذذ والتمتع بما تقدمه هذه التكنولوجيا المخترقة من رفاهية وراحة لحياة الانسان المعاصر ونكتفي بذلك مع الغوص في آثارها من ثقافة الاستهلاك المرافقة لها وتأثيراتها الاجتماعية المصاحبة. دون ان

30أنور عبد الملك، تغيير العالم، سلسلة عالم المعرفة، رقم 95، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985، ص109-166.

31أحمد بن طلال الجهني، دور التنمية في التحولات التاريخية، مكتبة بستان المعرفة، جدة، السعودية، 2006، ص63-62.

32أحمد بن طلال الجهني، ص81-74.

نسعى الى النظر في محاولة إيجاد تكنولوجية وتصنيع خاص بهمومنا وحاجاتنا، نابعاً من ثقافتنا وأصالتنا وهويتنا الحضارية والثقافية، مؤكداً وجود بعض الجوانب المؤثرة في موروثنا الثقافي من عدم قدرتنا على إيجاد وخلق تكنولوجية مماثلة تلائم واقعنا الاقتصادي والثقافي والاجتماعي وتكون من صنعنا نحن. مشيراً الى دور الدين في ذلك (كممارسة اجتماعية) هذا ما أكده التاريخ لاحقاً في أوروبا والغرب عموماً عندما تمت الإطاحة بالكنيسة الكاثوليكية وقيمها المثبطة لكل تنمية وتطوير تقدمي، ثم الانصراف الى قيم العلم وصناعة المستقبل ذاتياً لان المستقبل لا يكتب وقدرنا ما نصنعه لأنفسنا، <<.. السبب في ذلك ان العرب أعرق من البدو وأبعد عن الصنائع.. وأيضا كانوا أجانب عن الممالك لتي استولوا عليها، ولما تملكوها لم ينفسح الأمد حتى يستوفى رسوم الحضارة، وأيضا فكان الدين أول الامر مانعاً من المغالاة في البنيان والاسراف فيه من غير قصد، كما عهد لهم عمر حين استأذنوه في بناء الكوفة في الحجارة، وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوه من قبل.. وتقدم من الناس ان لا يرفعوا بنياناً فوق القدر. قالوا: وما القدر؟، قال: مالا قربكم من السرف، ولا يخرجكم على القصد. فلما بعد العهد بالدين والتحرج في امثال هذه المقاصد، وغلبت طبيعة الملك والترف، واستخدم العرب أمة الفرس، واخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعاهم اليها أحوال الدعة والترف، حينئذ شيدوا المباني والمصانع>>[33]. ان التكنولوجيا بأشكالها المختلفة على كل صعيد وجانب من جوانب الحياة وجدت من اجل رفاهية وراحة الانسان وحل مشكلاته وتخفيف اعباء الحياة عنه وتحصينه ضد كل المخاطر الحياتية والطبيعية، ولزيادة التحكم بالطبيعة وتسخيرها لخدمة الانسانية. وان فهمها في غير تلك المقاصد يقود الى مشكلات اجتماعية ونفسية كبيرة، فتكنولوجيا الاتصالات ومواقع التواصل الاجتماعي (Social media) لها الكثير من الأثر السلبي نتيجة التعاطي الخاطئ معها على الجوانب الاجتماعية، ولا سيما الاسرة فالاستخدام الخاطئ لهذه التكنولوجيا على الرغم من اهميتها وفوائدها الجمة في تحقيق المشاركة الاجتماعية والتثاقف وخدمة المعرفة بلا حدود، يقود الى اضرار كبيرة على مستوى تفكك الروابط الاسرية وغياب الادوار داخل الاسرة، وبالتالي اضعاف دورها كخلية أولى في التنشئة الاجتماعية ويهدد أيضا بتدميرها. والأخطر من ذلك هو استخدام هذه الأجهزة ومواقع التواصل الاجتماعي من قبل الغرب المصنع والمروج لانتشارها بيننا بهذا الشكل المفرط لاستخدامها في نشر الفكر الهدام لخدمة مصالح الغرب في مجتمعنا بتدمير ثقافتنا وتوجيه اجيالنا الصاعدة نحو ثقافة مغايرة لا تكترث لهمومنا ومشكلات مجتمعنا وترويج الفساد الأخلاقي من خلال المواقع الإباحية تلك التي هدمت منظومتنا الأخلاقية المتسمة بالعفة والالتزام الخلقي بين الجنسين في حدود الحفاظ على الكرامة وترفع الانسان عن الانصراف نحو الملذات على حساب الشخصية وسمو التفكير لقضايا الحياة الأخرى الأكثر تعقيداً، وكذلك نشر ثقافة العنف وقيادة الجيل نحو فقدان الانتماء والهوية الوطنية الصحيحة، والارتماء في أحضان الغرب وثقافته على حساب الوطن والمواطنة. لتكون مجتمعاتنا بالتالي امتداداً للغرب ليس إلا، محققاً بذلك أهدافه الاقتصادية والاجتماعية والاستعمارية في التبعية له كلياً ومغتصباً لكل مواردنا وامكاناتنا لحساب تنميته وتطوره هو:<<نشر الأفكار الهدامة والفساد الأخلاقي، تم تسخير مواقع الاتصال لنشر الفكر المنحرف والضال، الذي سبب وقوع اعتداءات على الأنفس والحرمات وتدمير البلاد، كما انه ساهمت في انتشار المواقع الإباحية، التي هددت القيم والأخلاق وافسدت الشباب.. وساهمت في انتهاك الخصوصيات، ونشر الصور ومقاطع الفيديو الخلاعية والتعليقات الإباحية، التي تأخذ بشبابنا وبناتنا الى مستنقعات الرذيلة والدمار النفسي والأخلاقي>>[34] وهنا يظهر دور التعاطي

33ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ج2، ص29.

34مجلة ارتقاء، مرجع سبق ذكره، ص56-55.

الصحيح الإيجابي لهذه التكنولوجيا المتطورة والهادفة والمفيدة في الوعي لهذه المخاطر وتوظيفها من قبلنا لخدمة أغراض المشاركة الاجتماعية وثقافة المعرفة، وخدمة الاتصال والاعمال بعيداً عن هذه المخاطر الهدامة على المجتمع والفرد، ولقد ترافقت عملية الاختراق الثقافي الغربي لمجتمعاتنا بالتكنولوجيا والتصنيع كمظهر مادي تديره وتقوده وتوجهه لتحقيق مصالحها مذاهب سياسية اقتصادية حماها وأنشأها الغرب لتنفيذ مآربه في مجتمعاتنا، مثل الليبرالية الجديدة (new liberalism) على حساب الشعوب المستغلة ولا سيما في مجال عولمة الاتصالات التي بدلت دور وسائل الاعلام والاتصالات وصرفتها عن مهمتها الأساسية في تشكيل الرأي العام ذو الطابع الشعبي حول كافة القضايا السياسية والاجتماعية بشكل ديمقراطي واسع الأفق، يعبر عن ثقافة المجتمع وهمومه وحاجاته، وحوله الى سلعة بوسائطه المختلفة (المرئي والمقروء والمسموع) وكذلك التكنولوجيا الحديثة متمثلة بوسائل التواصل الاجتماعي (social media) تجارية فقط للربح وتحقيق مصالح الغرب عن طريق الشركات المحتكرة له والمتعددة الجنسيات، <<.. بسبب الهيمنة النيوليبرالية التي وضعت السوق في مركز النظام الاجتماعي في محاولة لشل الديمقراطيات وابطال معنى المواطنة ذاتها... غدت الاتصالات عنصراً رئيسياً في هذه الديناميكية، ومع التطور المتسارع للتكنولوجيا في هذا المجال، زعمت القوى النافذة انها مهدت الى تحويلها الى نموذج في المستقبل تحت شعار (مجتمع المعلومات) وهكذا أصبح الاعلام القطاع الأكثر مغامرة، وجدوى وفعالية، وتأسست شركات إعلامية عملاقة ذات أذرع أخطبوطية امتدت في كل زاوية من الكرة الأرضية.. فرضت سياسات تحرير لكل القيود والقواعد... من اجل إزالة أي قوانين حكومية قد تعترض سبيل الشركات المتعددة الجنسيات، ولحماية مصالحها تحت غطاء الدوغما النيوليبرالية تكونت الصناعة الإعلامية التي يحكمها المعيار التجاري حصراً حيث الربح قبل وفوق المصلحة العامة، وحيث ينظر الى الانسان كمستهلك لا كمواطن فطغت المعلومات الحرة، لكن المبتذلة والهابطة.. بينما تصبح المعلومات ذات النوعية الجيدة متاحة فقط لمن يستطيع دفع الثمن الغالي. هذا الاتجاه الجديد محا عمليا الطابع الشعبي العام للإعلام من خلال خصخصة معظمه واجبار الباقي للتحول التجاري أي تلاشي دوره كفضاء يغذي ويدعم النقاش الواسع التعددي الطابع، المفتوح الأفق والمنفتح على شتى الأفكار والتعبيرات الثقافية في المجتمع>>[35] وفق هذه المخاطر على الافراد والمجتمع، يقدم المنتدى الاجتماعي العالمي في محاولة لصياغة عالم اخر، مجموعة من الاقتراحات تشكل آلة ردع إيجابية للتعاطي مع الاختراق الثقافي في هذا المجال الواسع (الإعلامي)، تتمثل في جهود المواطنين والحكومات معاً، بالإضافة الى تفعيل دور منظمات المجتمع المدني المدافع عن حقوق المواطنين في المعلومات والاتصالات الهادفة اجتماعياً، <<...1- يشكل الحق في الاتصال والتواصل طموحاً لكل الحقوق المعترف بها والمستحقة على صعيد الاتصالات وفي مقاربة أكثر ديناميكية لمسألة الاتصال، ننظر الى الافراد والقوى الاجتماعية كمنتجين للمعلومات وليس مجرد متلقين سلبيين لها. على هذا النحو يكون الاعتراف بهذا الحق ضروريا لممارسة كل الحقوق الإنسانية الأخرى، وعنصرا أساسيا لتوفر الديمقراطية، ويعتبر ادخال هذا الحق في اجتذاب الحركات الاجتماعية وتطوير الاستراتيجيات لإخراجه الى حيز الوجود إنجازا أساسيا على طريق بناء البدائل عموما. 2- إعطاء الأولوية لبناء سياسة مستدامة قائمة على سياسات ديمقراطية للحد من سطوة المصالح التجارية التي يفرضها منطق السوء، تنظم معايير لإدارة الرقابة، وفرض قوانين جديدة تتعلق بالملكية الفكرية. 3- تأسيس ودعم اعلام شعبي (مواطني) وليس بالضرورة اعلاما حكومياً، يكون تحت سلطة المجتمع المدني ويمول وفقاً لمبدأ التضامن الاقتصادي (من أرصدة عامة او خاصة او الاثنين معاً).

35المرجع السابق، ص57-56.

4- اتخاذ إجراءات لكبح سيرورة احتكار وسائل الاتصال والاعلام وتسليع المعلومات. 5- تطوير مصادر معلومات متنوعة تعددية تولي قضية الجنوسة اهتماما متميزاً. من خلال نقد الاعلام الجماهيري وممارسة الضغط عليه وصولا الى دعم اعلام بديل مستقل. 6- يعد استقطاب مجتمع الصحفيين الى هذه الحركة احدى الأولويات، لأنه من الأهمية بمكان إقامة تحالفات مع هذا القطاع، وبناء توافقات بخصوص الطابع الخدمي لوسائط الاتصالات والاعلام. 7- تنمية قطاع هام اخر تجدر إقامة تحالفات معه هو حركات المستهلكين الذي يمكن ان نقدر قوتهم أعظم لو مارسوها وفق منطق تضامني وجماعي. 8- من اجل تكوين مواطنين مطلعين ومزودين بالمعلومات الضرورية، يجب ان تتوفر القدرة على تقييم تقدير للإعلام. ذلكم هو غرض البرامج التثقيفية التي توفر للناس فهماً أفضل للطابع السوسيولوجي للإعلام.. 9- يشكل البحث العلمي عنصرا أساسيا مصاحبا لهذه السيرورة.. اذ يجب ان تكون صلة الحركات العاملة من اجل دمقرطة الاتصالات وثيقة بالبحوث ذات الصلة.. ويجب نشر ما توصلت اليه البحوث بشكل مبسط والربط ما بين الجانبين النظري والعملي>>[36].وفي مواجهة خطط الاختراق التكنولوجي الصناعي الغربي لمجتمعنا في إطار استغلاله للثروات والموارد الطبيعية لدينا وسرقته لمواردنا الأولية لخدمة تصنيعه المتطور والمتضخم على الدوام، يضع الدكتور مجيد هاني مسعود مقاربة لحماية هذه الموارد الطبيعية الوطنية من منظور اقتصادي، تهدف الى محاولة تجديدها الدائم في ضوء التنمية المستدامة وتوظيفها محليا في رفع معدلات النمو الاقتصادي والناتج المحلي. لان المهارة في استثمار الثروات الطبيعية والمجتمعية يظهر قيمتها المجتمعية وقيمتها الوطنية، وبالتالي يوجه الاهتمام الحكومي والشعبي نحو حمايتها واستثمارها بالشكل الأمثل، مؤكدا ان مرض الاستهلاك الذي تعيشه مجتمعاتنا هو كارثة اقتصادية لا بد أي يقابل بمستوى انتاج اعلى، تابع من استثمار أمثل للثروات الوطنية والمجتمعية والا لا مكان للتنمية لدينا <<...ان المصدر المتجدد في كل عام الذي يمكن ان يحدد الزيادة المستمرة للثروة يتمثل في زيادة الإنتاج على الاستهلاك واهتلاك ذلك الجزء من الثروة المتجسد بوسائل الإنتاج الذي دخل في العملية الإنتاجية كلياً (مستلزمات الإنتاج والاستهلاك الوسيط)، او جزئياً (اهتلاك جزء من الأصول الثابتة) وإعادة تثمير هذا الفائض الاقتصادي من جديد خلال عملية إعادة تجدد الإنتاج الموسع.. هذه الثروة الوطنية او القومية انما هي لجعل جميع القيم التي يمتلكها المجتمع.. متمثلة في ارصدة الإنتاج الأساسية (مزارع – مصانع) الموارد الطبيعية كالنفط والغاز والفحم والحديد – ارصدة المواد في الدورة الاقتصادية – الاحتياطات الاجتماعية من وسائل الإنتاج، والذي يهمنا هو التأكيد على ان استعمال الموارد الطبيعية بصورة غير سليمة من منظور المصلحة العامة سيكبح نمو الثروة الاجتماعية وبالتالي فإن الحساب الدقيق لهذه الموارد الطبيعية وترشيد استعمالها وحمايتها ورقابتها من التبديد والاستنزاف، يعتبر شرطاً مهما من شروط نمائها المستمر لتأمين مصالح الأجيال القادمة في ثروة المجتمع>>[37].

الخلاصة:

تم التعرض في هذه الدراسة الى عاملين مهمين في حياتنا الاجتماعية يشكلان تحدياً أساسيا في هذا العصر. هما التطورات التكنولوجية المتلاحقة أولاً، وثانياً منعكساتها على مجتمعاتنا والاثار المترتبة نتيجة اختراقها لمجتمعنا على

36اوزوالدواليون، دمقرطة الاتصالات والاعلام، من أجل عالم آخر – بدائل شعبية للعولمة الرأسمالية في المنتدى الاجتماعي العالمي، تر.شوكت يوسف، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008، ص223-222.

37مجيد هادي مسعود، موضوعات تنموية من منظور عربي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 2007.

الجوانب الاجتماعية كافة (الثقافية والاقتصادية والقيمية) (وبحدود علم الباحث). تم توجيه البحث الى استقصاء العوامل الأساسية في ظهور هذه التكنولوجيا وكيف تطورت الى ما هي عليه، وكيف انتقلت الى مجتمعاتنا ومحاولة معرفة أسباب واهداف ذلك الاختراق، كما حاول البحث أيضا تقصي آلية التعاطي لكل فاعلياتنا المجتمعية مع هذه التكنولوجيا الغربية المخترقة بتوصيف واقعي وقريب من الحقيقة ما أمكن، وكذلك توجيه البحث الى تحسين آلية التعاطي مع هذا الاختراق التكنولوجي لتخفيف اثاره السلبية والتمكين من الاستفادة من جوانبه الإيجابية كتكنولوجيا متطورة مفيدة، والانتقال من ذلك الى تصور (بحدود علم الباحث) لإمكانية تطوير منظومتنا القيمية والثقافية لتمكينها من انجاز تكنولوجيا وتصنيع خاص بنا ينبع من حاجاتنا وهمومنا وثقافتنا ويجعلنا غير مرتهنين للغرب منصهرين في ثقافته وذلك على النحو التالي:

1- هناك مجموعة من العوامل ساهمت في نشوء الغرب الصناعي، تمثلت في احياء قيمة العلم والايمان في نتائج البحث العلمي والانفاق في هذا الجانب، وسعيهم الى تطهير موروثهم الثقافي من القيم البالية، وزيادة الوعي بقيمة الوقت وحسن استثماره والذي أصبح منهاجا للحياة بالنسبة لهم، تحقيق حرية الانسان سياسيا وفكريا واجتماعيا، وبالتالي زيادة قدرته على الابداع والابتكار، تفعيل قيم الديمقراطية كمناخ ملائم لذلك الاستقرار السياسي لبلدان الغرب كعامل فاعل في التطور، ثم الانطلاق بالنهوض من واقعهم الزراعي وتطويره كما حدث في بريطانيا بالانتقال من الزراعة البدائية الى مكننتها وذلك بتطوير الصناعة وجعلها في خدمة تطور الزراعة، اعتماد سياسة الادخار التي ساهمت في بناء المنشآت الصناعية والمصانع الضخمة عن طريق احداث المصارف ومنح القروض.

2- اخترق النمط الصناعي الغربي مجتمعنا بقوة، نجمت أيضا عن تضخمه الهائل وحاجته لتلبية متطلبات صناعته الدائمة للتطور، من أسواق لتصريف المنتجات، ومورد للمواد الخام الأولية لاستمرار الصناعة، فدخل مجتمعنا على شكل استعمار عسكري – تبعية اقتصادية بالشركات متعددة الجنسيات وصندوق النقد الدولي (ديون).

3- حمل هذا الاختراق الغربي الصناعي لمجتمعنا اختراقا ثقافيا تمثل في نشر ثقافته الصناعية والقيم المرتبطة بها، وطرحها كبديل لقيمنا وثقافتنا تحقيقاً لمصالحه في التبعية والخضوع.

4- تبين من الاثار السلبية لهذا الاختراق الصناعي الغربي، فشل فكرة ان تحقيق التنمية في مجتمعنا يكون بتبني قيم الغرب وثقافته المفروضة علينا مع هذا الاختراق. وان ذلك لن يجعل منا الا مستهلكين لإنتاج الغرب ومنفذين لأجندته في خدمة وتنمية صناعته، مبددين لطاقتنا ومواردنا الطبيعية لصالح تنمية وتطوير صناعته.

5- هناك الية تعاطي سلبي مع منجزات الصناعة التكنولوجية الغربية في بلادنا، تحرمنا الاستفادة من الجوانب الإيجابية في هذا التطور الإنساني، تتمثل في سوء الاستخدام للتقنيات المختلفة مثل تكنولوجيا الاتصال في غير الحاجة والغاية التي وجدت من أجلها، وقد ترتب على ذلك اضرارا كبيرة في القيم والهوية والانتماء، كرست هذا الاختراق وعملت على تثبيت أهدافه.

6- هناك تعاطي سلبي مع الإشكالية في الجانب الفكري تتمثل في الاتجاهات الثلاث: (**أولها** يدعو الى تبني النموذج الغربي بكليته ويعتبره نموذجا خالصا وحيدا للتنمية، **وثانيها** يرفض النموذج الغربي بكليته ويدعوا الى الموروث الثقافي والديني والقيمي لحل مشكل التنمية، **وثالثها** توافقي يدعو الى الانتقائية بين هذا وذاك، بأن نأخذ الإيجابي من الغرب الصناعي ونرفض السلبي منها. 7- تبنى هذه المواقف الفكرية كلّاً من الليبراليون بالنسبة الى الموقف الأول، والتراثيون السلفيون بالنسبة للموقف الثاني، وجاء الماركسيون رافضين للموقف الثاني ومختلفين مع الليبراليين في جوانب عدة. يتمثل التعاطي السلبي لهؤلاء في تحويل الإشكالية الى حلبة صراع فيما بينهم وكيل الاتهامات على حساب الحل

الأمثل للمشكلة الذي يتمثل في موقف اجرائي واقعي في التعاطي معها، وتمثل هذا التخبط في الانفاق على مؤسساتنا وقطاعاتنا التقليدية متمسكين بما نحن عليه وفي ذات الوقت الانفاق على تبني النموذج الغربي في الاقتصاد والتسويق وغير ذلك مشجعين على نشر ثقافة الاستهلاك لا أكثر.

الاستنتاجات والتوصيات:

1- تفعيل دور التربية بدءا من الاسرة والمدرسة وصولاً الى مؤسسة العمل وكل القطاعات المنتجة في توضيح وشرح فلسفة التكنولوجيا والتصنيع الغربي المنشأ (أهميته للتنمية – مخاطرة وكيفية تفاديها – مخاطر التعاطي الخاطئ والسلبي معه على الصعيد الفردي والاجتماعي وعلى الصعيد الاقتصادي وهو الأهم، وكذل الصعيد الثقافي ويكون ذلك عن طريق تطوير نظام تعليمي يؤسس لمناهج تدريسية تولي هذه الإشكالية الاهتمام الكافي لمعرفة كل ما يتعلق بها متضمنة شرح الجوانب الإيجابية وكيفية الاستفادة منها وكذلك اهداف الاختراق الثقافي المتعلق بها.

2- تعميق دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية (اسرة – مدرسة – مؤسسة عمل والقائمين عليها) في نشر وتعليم القيم الخاصة بتطوير التصنيع والتكنولوجيا، مثل (احترام ثقافة العمل – أهمية الوقت وحسن استثماره – الايمان بالبحث العلمي واهميته – أهمية الادخار والاقتصاد في الانفاق والتركيز على الحاجي دون الكمالي نبذاً لثقافة الاستهلاك.

3- وضع خطة بإشراف حكومي لتطوير نظم الإدارة وحسن تقسيم العمل الاجتماعي والأداء داخل المؤسسات والتركيز على القطاعات الإنتاجية في ذلك.

4- تفعيل قيم الديمقراطية داخل المؤسسات كبديل للبيروقراطية الإدارية، من خلال توسيع هامش الصلاحيات كلاً حسب موقعه ومسؤوليته وتوسيع دائرة اتخاذ القرار بالاعتماد على التقييم لكافة المشكلات المطروحة كعمل علمي مبني على إحصاءات الرأي.

5-وضع خطة حكومية شاملة للتنمية المستدامة (التي تخلق شروط دوامها واستمرارها بنفسها) تهدف الى امتلاك مفاتيح التكنولوجيا والتصنيع محلياً تتضمن تأهيل وتفعيل الكوادر المناسبة لذلك للتخلص من الارتهان للغرب والاعتماد عليه في محاولة يائسة لنقل التكنولوجيا.

6- تخصيص قدر عالي وكافي من الموازنة الاجمالية لتحويل ذلك الى عمل اجراءي يشمل كافة القطاعات المنتجة خاصة قطاع الزراعة والاستخراج حماية لمواردنا الطبيعية من التسرب كمواد أولية لخدمة صناعة الغرب وتوظيفها في خدمة صناعتنا المحلية.

7- تفعيل دور الاعلام المرئي والمقروء والمسموع من خلال وضع خطة إعلامية بإشراف حكومي، تعمل على نشر أهمية التصنيع والتكنولوجيا في التنمية، وتشرح مخاطر الاختراق الثقافي للتكنولوجيا الغربية على كافة الأصعدة، وتؤكد على أهمية السعي الى إيجاد تكنولوجيا محلية تكون بديلة عن الخضوع للتكنولوجيا الغربية، تنبع من واقع همومنا وحاجاتنا وثقافتنا واهدافنا في التنمية، وتنشر ثقافة التوظيف الإيجابية للتكنولوجيا الغربية، خاصة في قطاع وسائط التواصل الاجتماعي.

8- التخفيف من المخاطر السلبية للاختراق التكنولوجي الغربي عن طريق دعم وتشجيع الصناعة الوطنية، وطرح المنتج المحلي في اسواقنا كبديل لمنتجات الغرب المستبيحة لأسواقنا، وذلك انطلاقا مما تتطلبه حاجاتنا الحقيقية في ضوء تقاليدنا وعاداتنا للتضييق على اهداف الغرب في نشر النزعة الاستهلاكية لدينا سعياً الى هدف الربح.

References

Books:
-Ahmad Ben Talal Aljehni, Role of development in the historical changes, Bostan Almarifa Bookshop, Jedda- 2006-KSA.
-Peatern-Sterner, History of Consumption Trend in the world, the international change in desire, Translated by Adel Alamel, ministry of culture –Damascus -2006.
-Abdulrahman Ibn Khaldoun, The Introduction, Inspection of Mr. Abdulla M. Darwish, Dar Yarub, Damascus -2005-1st part.
-Abdulrahman Ibn Khaldoun, The Introduction, Inspection of Mr. Abdulla M. Darwish, Dar Alalanji, Damascus -2004-2nd part.
-Ali Faour, Horizons of Arabic civilization – The growth of the big capitals & cities – the civilized development and random dwelling – Dar Alnahda- Beirut-Lebanon, 2004.
-Gregoir Mersho- The ideology of Modernism between the acculturation & and the civilized dissociation, Alahali for printing, distribution and documentation- Damascus – Syria, 2000.
-Mostafa Mohsen –We and the enlightment, The university Establishment for publishing & distribution- Beirut-Lebanon, 2006.
-Mechail Hara Lamous, New Trends in Sociology, Translated by a group of translators, revised by: Adnan Mostafa & Ebrahim Abdulrazak, Bait Alhekma , Baghdad, 2001.
-Majed Al Zayoud, Youth and values in a changing world, Dar Alshorouk for publishing & distribution- Amman- Jordan, 2006.
Majid Hadi Masoud, Development Subjects from an Arabic point of view- Damascus – Publications of ministry of Culture, 2007.
Studies:
-Anwar Abdulmalek, Changing the world, Almaarefa Chain, No. 95, Kuwait, The National Council of Culture, Arts & Literatures, 1985.
-Carl Poper, Frame Myth, Almaarefa Chain, No. 292, Kuwait, The National Council of Culture, Arts & Literatures, April 2007.
Research Conferences:
Dr, Faisal Darraj, Concept of advancement in the Arabic Enlightening Address, Works of the 3rd Cultural Week, The New Global System, Enlightenment & Development, Damascus university, Faculty of Arts & Humanities, Section: Philosophical & Social Studies, Damascus university Publications, 1998- pp. 305.
-Dr. Ahmad Albarkawi, what is meant by Enlightenment, Works of the 3rd Cultural Week, The New Global System, Enlightenment & Development, Damascus university, Faculty of Arts & Humanities, Section: Philosophical & Social Studies, Damascus university Publications, 1998- pp. 305.
-Ozwaldwalion, Democratizing of Economics & Media, for another world Popular principles of the Capitalism Globalization in the international social forum, Translated by Shawkat Yousef, Ministry of Culture, The Syrian General Authority of Book, Damascus - 2008.
-Saadeddin Ebrahim et al, Tradition and the Challenges of the age in the Arab World, The Originality & the Contemporarization, Researches & Discushions of the Cultural Seminar, Arabic Union Study Center, Beirut-1985.
Magazines:
-Almarefa magazine, Ministry of Culture, The Syrian Arab Republic, a monthly cultural magazine, issue No. 652, January 2018.

-Ertekaa magazine, Seasonal and cultural magazine that is interested in the Arabic &Islamic Sciences, Mrs. Rokaya complex for Arabic & Islamic studies, Branch of Belad Al Cham university, issue No. 21, January 2017.

Electronic Sites:

Kiely, ray, (nov 2011). Indoctrination and development: a.l. comparative analysis. Vgl pies limited: 25-26

-Said Alhaj, the scientific research-The identity & the metholodogy, Dar Alkadhia for Publication, Algeres-2014 (taken from Wikipedia the Free Encyclopedia-
(https//ar.m.wikipedia.org) wiki